

## صحافة جمعية العلماء المسلمين وقضايا التحرر في آسيا جريدة البصائر أنموذجا (1947م-1956م)

Press of the Association of Muslim Scholars and Issues of Liberation in Asia

Al-Basaer Newspaper is a model (1947م-1956م)

جامعة وهران 2

د. بن ترار عبد القادر

الإرسال: 2021/03/22 القبول: 2021/08/06 النشر: 2021/09/15

ملخص: لقد شكّلت الصحافة بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعبر نحو تمرير رسائلها للمجتمع الجزائري والعمل على إصلاحه من خلال جرائدها المتعددة "المنتقد" سنة 1925م، أو "الشريعة المحمدية" لربطه مع إخوانه المسلمين في المشرق العربي والتأكيد على وحدة المسلمين وهو الدور الذي اطلّعت به "جريدة البصائر" حيث خصّصت اهتماما كبيرا في أعدادها لشؤون الأمة العربية وقضايا التحرر في كل من قارتي إفريقيا وآسيا. حيث كانت القضية الفلسطينية وقضية الهند الصينية من أهم القضايا التي تناولتها بإسهاب في أعدادها. كما عالجت الجريدة قضايا التحرر في كلّ من اليمن والهند وسوريا وغيرها، وفي مقالنا هذا تطرقنا إلى تطورات قضية الهند الصينية و القضية الفلسطينية.

كلمات مفتاحية: الاستيطان ؛ وعد بلفور ؛ ديان بيان فو ؛ الانتداب ؛ الكتاب الأبيض.

### Abstract:

For the Association of Algerian Muslim Scholars, the press has been the gateway to passing its messages to Algerian society and working to reform it through the newspaper "Critic" in 1925, or "Islamic Law", and to link it with its Muslim brothers in the Arab Mashreq and to emphasize the unity of Muslims, which is the dor. The newspaper by Al-Basaer, where it devoted considerable attention to its issues to the Arab nation and liberation issues in both Africa and Asia. The question of Palestine and the question of Indochina were among the most important issues dealt with at length in their numbers. The newspaper also addressed issues of emancipation in Yemen, India, Syria and elsewhere, and in this article we touched on the developments of the Indochina issue and the Palestinian issue.

### Keywords :

settlement ; Balfour Promise, Diane Bian Fu ; Mandate ; The White Paper.

## مقدمة:

لقد عرفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية موجة تحرّرية كبيرة اجتاحت كلاً من قارتي إفريقيا وآسيا، حيث تصاعد التّيار القومي التّحرري بشكل كبير، وبما أن عملية التحرير لا تقتصر على الانتصارات المتتالية في ساحات القتال فحسب، بل تتعدّها إلى التّعريف بتلك القضايا التّحررية في العالم أجمع من خلال أقلام الصحفيين، والتي استطاعت إلى حد كبير الكشف عن الدوافع الحقيقية للسياسات الاستعمارية.

بالرّغم من السّياسات الاستعمارية المختلفة والمنتهجة في البلدان المستعمرة من قبل الدول الاستعمارية إلّا أن القاسم المشترك فيما بينها يكمن في منطلقاتها الفكرية القائمة على أساس تحقيق أكبر قدر من المنافع، ومن هنا فإنه لا يمكن الحديث عن سياسة استعمارية ثابتة فبتغير المعطيات والأحداث التاريخية، تتغير السّياسات المنتهجة من قبل هذه الأخيرة، وهكذا إذن تشترك الدول الأوروبية الاستعمارية في الغاية التي أدت إلى احتدام التنافس الاستعماري فيما بينها لينفجر في شكله الأكثر رعباً في الحرب العالمية الأولى والثانية التي راح ضحيتها الملايين من البشر، لأنّ الإنسان المتحضر الحقيقي يستحيل أن يحوّل العالم إلى مستنقع من الدّم.

لقد حاولت جريدة البصائر أن تقف عند أبرز مواطن التّوتر في الساحة الدولية من خلال تتبع قضايا التّحرّر في إفريقيا وآسيا، ولعل صفحات الجريدة التي امتدّت على مدار أكثر من تسع سنوات، تشكّل مادّة تاريخية بامتياز يمكن العودة إليها من أجل التّعريف على مختلف تطوّرات الأحداث الدّاخلية والخارجية، فالجريدة هي مصدر تاريخي للتأريخ، حيث لم تكتفي الجريدة بنقل الحوادث بل تفاعلت معها وأبدت موقفها من كل القضايا التي عالجتها، ونخص هنا بالذكر قضية الهند الصينية وكذا القضية الفلسطينية. ومن هنا نحاول طرح الإشكالية التالية: كيف ساهمت جريدة البصائر بنشر الوعي التّحرري من خلال معالجتها للقضايا التّحررية في نموذجي الهند الصينية وفلسطين؟

بالنظر إلى الإشكالية التي نريد معالجتها في هذا المقال فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي لتتبع السياقات التي تطورت فيها الأحداث وكذا المنهج التحليلي للوقوف على طبيعة القضايا التي عالجتها جريدة البصائر في منبرها منبر السياسة العالمية على وجه الخصوص.

### تطوّرات قضية الهند الصينية

لم يكن الاستقلال الذي منحتة فرنسا لدولة الفيتنام بداية من الفاتح سبتمبر 1945م نوعا من التّغيير في سياستها الاستعمارية، ذلك الاستقلال المنقوص خاصة مع قيام فرنسا بتأسيس حكومة في "سايفون" جنوب الفيتنام وذلك عام 1948م، لكي تقضي على وحدة البلد ووحدة الشّعب، ومن ثمّ تجزئة المقاومة وإضعافها، وهنا بدأت جريدة البصائر أولى مقالاتها في سلسلتها الثانية حول رحلة الحرّية التي قادها الشّعب الفيتنامي بمقالها الصّادر في العدد 39 حيث تقول: " في اليوم السّادس من شهر مارس سنة 1946م، أعلنت حكومة فرنسا على رؤوس الملاء، اعترافها بحرّية وباستقلال دولة الفيتنام الهندوسية، وأبرمت يومئذ مع تلك الدّولة الفتية النّاشئة، معاهدة تعترف للوطنيين باستقلال بلادهم، وحرّية إرادتهم، وتعترف للنّزلاء الفرنسيين بهاتيك البلاد بحقوقهم الاقتصادية وتضمن مصالحهم المالية، دون حيف أو إجحاف". (أحمد توفيق المدني، 1948: 1).

إن الملاحظ من خلال هذه الكلمات أنّ فرنسا كانت تنوي فتح صفحة جديدة في علاقاتها مع دولة الفيتنام المستقلّة، إلّا أنّ الوقائع التي أعقبت إعلان الاستقلال كانت مغايرة تماما للعهود والمعاهدات والقرارات، وهنا تقول البصائر: "لكن الاستعمار قاتله الله عاجل تلك الدّولة، ولما يجف مداد المعاهدة، وتقدّم بخيله ورجله، وبطائراته ومدّمّراته، بشّتها غارة ظلم وعدوان على بلاد كانت جريمتها النّكراء، أنّها صدّقت كلمة الحكومة الاستعمارية، واعتقدت بسذاجة أنّ معاهدة يضع عليها رجال حكومة باريس إمضاءهم، بعد مفاوضات طويلة، ومجادلات تناولت كل موضوع، إنّما هي معاهدة مقدّسة لا تمتدّ إليها أيدي الأعداء". (أحمد توفيق المدني، 1948: 1).

لقد أدرك الطّرف الفيتنامي ما تنطوي عليه نوايا الاستعمار بعد سلسلة طويلة من المفاوضات، وهنا يقول أحد المشاركين فيها: "كلّما تنازلنا أكثر زادوا من عدوانهم، وراحوا يمزّقون علنا الاتفاق الذي وقّعوه، ومضوا يشنّون حملاتهم العسكرية لسحقنا في المناطق المحتلّة، وداسوا على حقوقنا وبذلوا قصارى جهدهم ليحتلّوا بلادنا". (علي فياض، 1990: 82، 83).

لقد تتبعت جريدة البصائر مراحل الحرب الفيتنامية الفرنسية منذ بداياتها الأولى حيث تقول: "أصبحت الأنباء ترد علينا من هاتيك البلاد النائية، تحمل بين طياتها أخبار المطامع والمصادمات الجديدة التي صارت تقع بصفة مستمرة في الناحية الشمالية من القطر الفيتنامي. حيث يتقابل وجها لوجه، أنصار التحرير الوطني لرجال الرئيس هوشي منه، تعزّزهم طوائف كثيرة من الشيوعيين الصينيين. وأنصار الاستعمار الفرنسي وجنوده، الذين وقفوا هنالك يناضلون عن حقوق الرأسمالية، وعن النظم البائدة، وعن التسلط الاستعماري الذي يحكم أمة في رقاب أمة، ويسلط شعبا على شعب، ويستثمر بلادنا لكي تحيا بلاد أخرى". (أبي محمد، 1949: 4).

لقد أوضحت الجريدة أن "هوشي منه" هو الممثل الحقيقي للشعب الفيتنامي ورجل الصدق والسّجية الذي آمن باستقلال ووحدة الفيتنام عكس "باوداي" الذي شكّل حكومة "سايفون"، وهنا تقول البصائر: "أما الرجل الأول فهو هوشي منه رئيس دولة الفيتنام الحرّة المستقلّة، المجاهدة المكافحة. المستميتة في سبيل استقلالها التام وحقّها المطلق في الحياة السعيدة الحرّة. وأما الرجل الثاني فهو الدمية السّمينة التي غرّ بها الاستعمار الفرنسي فأوقعها في أحبولته، ونفخ في نفسها حب التسلط والرفعة والظهور، وزين لها الرجوع إلى عرش قد أسقطته الأيام وحكم عليه التاريخ، ووسوس لها أنّها تستطيع أن تقدّم للأمة الفيتنامية من الخدمات العظيمة ما لا يستطيع أن يحققه لها الأوائل والأواخر". (أبي محمد، 1950: 4).

لقد لقيت الثورة الفيتنامية دعما من قبل الصّين الشعبية والإتحاد السّوفياتي موجّها إلى حكومة "هانواي" في الشمال وفي المقابل عملت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على إمداد "باوداي" وحكومته بكلّ ما يلزم من أجل التّصر، وهنا تقول البصائر: "فالممثل السّياسي لدولة الولايات المتحدة الأمريكية يعلن في جلاء أنّ العلاقات بين حكومته وبين الحكومة الإمبراطورية، ستكون مباشرة دون واسطة فرنسا، وأنّ الولايات المتحدة سوف تمدّ بالسّلاح الوفير تلك الحكومة لكي تفرض على البلاد سلطانها، ولكي تعدم من الوجود حكومة هوشي منه وما وراءها من شبح الشيوعية الذي يتقدّم في الجهات الآسيوية مثل الطّوفان". (أبي محمد، 1950: 4).

إن المتتبع لدقائق الأمور يدرك أنه كانت هنالك حرب بين معسكرين رأسمالي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وشيوعي يقوده الإتحاد السّوفياتي والأهم أنّ هذا الصّراع كان مسرحه أرض الغير أي الفيتنام، وبالرّغم من كل هذه القوى المتصادمة إلّا أن إرادة التّحرّر التي حملتها حكومة الفيتنام قيادة وشعبا كانت أقوى من كل المخطّطات الاستعمارية. وهنا تقول البصائر: "إنّ حكومة هوشي منه الشّعبية، التي جمعت حولها الأغلبية السّاحقة من الأمة، ونظّمها

فأحسن تنظيمها، تريد مهما كلفها ذلك من التكاليف الهائلة، أن تصل بالأمة إلى حرّيتها المطلقة، وإلى استقلالها الكامل، وتريد وإرادة الأمة من إرادة الله— أن تدكّ صروح الاستعمار وأن تمزّق أغلال العبودية، وأن تحطّم آخر قيد من قيود النّظم الجائرة التي أخضعها حيناً من الدهر لحكم القوّة الاستعمارية الرأسمالية القاهرة". (أبي محمد، 1950: 4).

إنّ المتابع لمسار الأحداث يكتشف أنّ الاستعمار الفرنسي لم يكن يخدم مصلحة الشّعب الفرنسي بقدر ما كان يخدم مصلحة الشّركات الكبرى الرأسمالية التي تؤمن بالتوسّع اللامحدود، ونظرت إلى كوكب الأرض كلّها على أنه ليس أكثر من مزرعة أو مصنع لزيادة أرباحها، وهنا تقول البصائر: "لقد كادت تجمع الأمة الفرنسية على كراهية حرب الهند الصّيني، وكادت تجمع على إعلان سخطها ونفورها من هذا المأزق الذي زجّته فيها حكومات لا تفهم من حقائق الدّنيا شيئاً، وترى أنّ الإمبراطورية باقية مهما تغيّرت أشكالها، وأنّ الاستعمار مهما اختلفت ألوانه، وأنّ رجال المال والأعمال والبنوك والشّركات الكبرى يجب أن يستمروا على استثمار مزارع الأرز وكنوز الأرض التي مكّنتهم منها الحراب في بلاد الهند الصّيني". (أبي محمد، 1950: 4).

لقد عمّق التدخل الأمريكي الأزمة في الهند الصينية، وأطال معاناة الشّعب الفيتنامي جرّاء الاستعمار الفرنسي، وهنا تقول البصائر: "لولا مساندة أمريكا لفرنسا على استعمارها هذا ولولا السّلاح الوفير الذي أمّدت به واشنطن باريس، لما تمكّن الفرنسيون من البقاء حتى يومنا هذا في تلك الأصقاع، وهذا حقّ لا غبار عليه". (أبي محمد، 1951: 4).

بالرّغم من كل ذلك الدّعم المقدّم للاستعمار الفرنسي فإنّه قد عانى الأمرين ساعة تطويقه من قبل القوات الفيتنامية في المعركة التي بلغ صدها العالم بأسره، وهي معركة "ديان بيان فو" بداية من 13 مارس 1954م وإلى غاية خروج القائد الفرنسي حاملاً الرّاية البيضاء، معلناً استسلامه واستسلام فرنسا في 7 ماي 1954م.

لقد رصدت جريدة البصائر هذه المعركة منذ أيّامها الأولى، حيث كتبت تقول: "إذا كان الوطنيّون الأحرار في بلاد الهند الصّيني، لا يزالون يبذلون جهودهم العنيفة لتحطيم المعقل الفرنسي العظيم في مدينة ديان بيان فو وإذا كانت تلك الجهود الطّائفة لم تسفر إلى هذه السّاعة عن نتيجة حربية حاسمة، فإنّ تلك المعركة التي هي الأولى من نوعها في تلك البلاد، بعد حرب استمرّت سبعة أعوام، قد أحدثت الدّوي الهائل والأثر العظيم في...عاصمة أمريكا". (أبي محمد، 1954: 4). كيف لا والولايات المتحدة تخاطر بسمعتها العسكرية هناك باعتبارها

الحليف المباشر والمصدر الرئيس للقوة الاستعمارية الفرنسية، وهنا تقول البصائر: "إنّ السّلاح الذي يستعمل في بلاد الهند الصّينيّ أمريكي، وأنّ المال الذي ينفق أمريكي، وأنّ الطّيران الذي يلقي التّيران والدّمّار أمريكي، وأنّ فرنسا لا تزال تستنجد أمريكا فتجندها، على حساب كرامتها واستقلالها". (أبي محمد، 1954: 4).

لقد كان لوقع معركة "ديان بيان فو" ونتائجها الأثر العميق في كل شعوب العالم خاصّة الشّعوب المستعمرة، وهنا تقول البصائر: "العالم المستعمر كلّه يعتبره انتصار الحق على الباطل وفوز الحرّية على الطّغيان. وظهور المكافحين الأحرار الدّين لا يعتمدون إلّا على ما بين أيديهم من سلاح خفيف. وما في صدورهم من طاقة الإيمان ومن إرادة التّضحية والفداء، على المستعمرين الذين لا يعتمدون إلّا على ما بين أيديهم من مصفّحات ومن قاذفات قنابل ومن عتاد عظيم". (أبي محمد، 1954: 4).

تلك هي المفارقة الكبيرة التي حصلت في هذه المعركة، حيث تأكّد العالم كلّه أنّ إرادة الحياة لا تهزم أبدا رغم الفارق في العتاد والعدّة، ما دامت إرادة التّصرّ حاضرة، وبعد الفشل العسكري تجرّع الفرنسيّون الفشل السّياسي في مؤتمر "جنيف"، وهنا تقول البصائر: "طُفح الكأس بمأساة ديان بيان فو التي أصابت قلب الفرنسيين في الصّميم، وقالوا أنّ مؤتمر جنيف سوف يضع حدّا لتلك الحرب الظّالمة القاسية التي شنّ الاستعمار الفرنسي غاراتها الأولى منذ سبعة أعوام، فإذا بهم يرون أنّ مندوبهم القوي يعبث هناك ويكدّس حوله مجموعة من الغلطات". (أبي محمد، 1954: 4).

هذا الفشل السّياسي أقرته قرارات مؤتمر "جنيف" بانسحاب القوّات الفرنسية جنوبا أي ضمن الحكومة التي دعمتها وهي حكومة الإمبراطور "باوداي"، وتنقل لنا البصائر صورة الفيتنام بعد المؤتمر فتقول: "يفصل بين القسمين خط العرض الاستوائي رقم 17 هذا الخط هو الذي أصبح فاصلا بين قوى الجمهورية الفيتنامية التي يرأسها هوشي منه (القسم الشّمالي الأسود) وبين قوى فرنسا والإمبراطور باوداي (القسم الجنوبي) فكل قوى فرنسا التي في الشّمال تنسحب أسفل الخط المشار إليه، كما أنّ كل قوى الفيتناميين التي توجد جنوب ذلك الخط تنسحب إلى الشّمال". (أبي محمد، 1954: 4). وإعلان الهدنة أعلنت جريدة البصائر عن آخر مقالاتها في ما يخص تطوّرات الهند الصينية.

تطوّرات القضية الفلسطينية:

لقد كانت فلسطين محور اهتمام جريدة البصائر منذ انطلاقتها في المرحلة الثانية (1947م-1956م)، حيث أفردت لها العديد من المقالات قبيل إعلان دولة إسرائيل في 18 ماي 1948م، وهذا ما نلاحظه في افتتاحية العدد الخامس سنة 1947م "يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري في حَقِّك كلمة مترددة هي: فلسطين قلعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصَّغير، وفي عنق كل مسلم جزائري لك-يا فلسطين- حق واجب الأداء...فإن فرط في حَقِّك، فما الذنب ذنبنا، وإنَّما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه والمرء وداره". (البشير الإبراهيمي، 1947: 1). وفي الوقت نفسه شدت الجريدة على أنَّ المد الصهيوني الزاحف هناك لا يملك أي حق وليس له أي صفة شرعية تمكَّنه من الاستحواذ على الأراضي الفلسطينية، وهنا تقول: "ما بال هذه الطائفة تدَّعي ما ليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصل-بسفاهتها- وعد موسى بوعد بلفور، وإنَّ بينهما لمداً وجزرا من الأحداث وجذبا ودفعاً من الفاتحين". (البشير الإبراهيمي، 1947: 1).

لقد أدركت جريدة البصائر سلفا ما يعمد إليه الصَّهاينة من توطيد لدعائمهم هناك من أجل تحقيق كل ما جاء في وعد بلفور المشؤوم "إنَّ الصهيونية...غايتها جمع طائفة قدر لها أن تعيش أوزاعا بلا وازع، وقدر لها أن تعيش بلا وطن ولكن جميع الأوطان لها-فجامت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تسمِّيه- قولاً فلسطين". (البشير الإبراهيمي، 1947: 1).

وبالرغم من هذا المخطَّط الاستعماري الجديد في فلسطين، إلا أنَّ الجريدة أكَّدت على أنَّ الجزائريين يستحيل أن يتخلَّوا عن إخوانهم الفلسطينيين تحت أي ظرف كان وهنا تقول الجريدة: "أيظنَّ الظَّانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسه...ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته. هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلاً تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيات هيات لما يروم". (البشير الإبراهيمي، 1947: 2). كما أكَّدت الجريدة على أنَّ القضية الفلسطينية ينبغي أن يتجنَّد لها كل العرب شرقا وغربا من أجل نصرتها وهنا تنادي: "أيها العرب إنَّ قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائرکم وهممکم وأموالکم ووحدتکم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنَّما هي للعرب كلَّهم وليست حقوق العرب فيها تنال بأنَّها حق في نفسها، وليست تنال بالهوان والضعف، وليست تنال بالشَّعريَّات والخطابات، وإنَّما تنال بالتصميم والحزم وبالإتحاد والقوة". (البشير الإبراهيمي، 1947: 2).

لعلّ ما دفع الجريدة للتأكيد على التضامن والتكامل العربي هو ما أحسّته من هوان هؤلاء وذلّهم في وجه التّاج البريطاني أو هيئة الأمم المتحدة، خاصة بعد رفض العرب لمشروع تقسيم فلسطين الذي خلصت إليه لجنة "بيل" الملكية سنة 1937م، والقاضي بمنح اليهود 33% من أرض فلسطين، وبالرّغم من رفض الفلسطينيين هذا الاقتراح الذي لم يقع تحت التّنفيذ، رفض اليهود بالمقابل ما جاء به الكتاب الأبيض البريطاني سنة 1939م، وأمام حلول التّسوية المرفوضة من الطّرفين عمل اليهود على تحقيق أهدافهم بخلق المنظمات الإرهابية كـ "الهاقانا" و"إرغون" و"شتيرن" التي قامت بارتكاب مذابح دموية وإرهابية ضدّ الفلسطينيين والبريطانيين على حدّ سواء لإرغام هؤلاء على الخروج من فلسطين ليتسّى لهم تأسيس دولة إسرائيل.

بالرّغم من أن الموقف الفلسطيني كان رافضا لما جاءت به لجنة "بيل" الملكية إلّا أنه سنة 1947م، جاء القرار الأممي 181 والذي نصّ على تقسيم فلسطين لدولة عربية وأخرى يهودية على أن تبقى القدس منطقة تحت الإشراف الدّولي، على أن يملك اليهود 56.5% من أرض فلسطين، وهنا نلاحظ وقاحة القرارات البريطانية أولا والأمريكية ثانيا من استفزاز لمشاعر الفلسطينيين والعرب والمسلمين، فبعد عدم القبول بحل 33% لليهود و67% للفلسطينيين، كيف يمكن القبول إذا بالقرار 181 وهنا تقول البصائر: "لولا أنّ العرب هانوا إلى درجة مبتذلة، لما كانت تقدّم لجنة هيئة الأمم المتّحدة مثل ذلك التّقرير العفن، وتوصي فيه باتخاذ إجراء في قضية فلسطين سبق العرب أن قالوا فيه كلمتهم، وبنّوا فيه بصراحة رأيهم، ورفضه سوقتهم وزعماؤهم". (أبي محمد، 1947: 4). حيث شدّدت الجريدة على أن يتحوّل الرّفص العربي من الأقوال إلى الأفعال بشكل يمثّل التحديّ اليهودي الذي دائما يصر على مواصلة الهجرة نحو فلسطين غير أبه بأحد، وإذا كانت عزيمة العرب متخاذلة فلا أمل بالنّصر وذلك لأنّ وعد بلفور سنة 1917م جاء صريحا يفضح نيّة الاستعمار هذا ما جعلهم "يدمجون في مقدّمة صك الإنتداب تصريح بلفور ليكون له حرمة وقداسة المعاهدات الدّوليّة وبموجبه أصبح للأقليّة اليهودية سلطان على ما يقارب 93% من السكان العرب الذين لم يذكر حتى اسمهم الصّريح -العرب- وإنما أشير إليهم -بعبارة الطّوائف الأخرى من السّكان- أو الجماعات غير اليهودية". (أحمد طربين، 1986: 433).

إنّ هذا لهو أكبر دليل على أنّ المشروع الاستعماري ذا البعد الاستيطاني جاء ليمنّ سيطرة اليهود من خلال منحهم الحكم المباشر خوفا من تضالّ عدد الأقليّات اليهودية، ليصبحوا السّادة والفلسطينيين عبيدا لهم، إن رفضوا الانصياع يصقّون أمام أعين العالم، وهنا يقول "ونستون تشرشل" في مذكراته: "وإذا أتيح لنا في حياتنا، وهو ما سيقع حتما، أن نشهد مولد

دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضمّ نحو من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية". (إسماعيل أحمد ياغي، 1995: 157).

وهكذا فإن مشروع التّقسيم الذي عرضته الأمم المتّحدة تحت رقم 181 سنة 1947م نال موافقة كل من الأمم المتحدة وأمريكا وحظي بدعم الإتحاد السّوفياتي هذا الأخير الذي كان العرب والمسلمون يطمعون في مساندته للقضية الفلسطينية على اعتبار أنّ حوادث التّاريخ كانت دائما تكشف معاداته للأنكلوسكسون، ولكنّه هذه المرّة وقف في صفّ الصّهاينة وهنا تقول البصائر: "عندما رأى العرب المندوب الرّوس يخضع، كما خضع الأنكلوسكسون من قبله، لحجج الدّعاية الصّهيونية الرّنانة، ويقف إلى جانب أعداء العرب موقفا صريحا لا غبار عليه، فيؤيد مشروع التّقسيم، زعم أنّه لا يوجد مشروع غيره يمكن أن يعيد السّلامة والأمن والاطمئنان لربوع فلسطين إذ أنّه لم يبق من إمكان لتآلف بين العرب واليهود هنالك". (أبي محمد، 1947: 4).

لم يقف المسلمون عامة والعرب خاصّة عند حدود الاستنكار بل تعدّاه إلى توحيد الصّف والكلمة والرّأي خاصّة داخل منبر هيئة الأمم المتحدة، ما بيّن للعالم أجمع أن قضية فلسطين هي قضية العالم الإسلامي كلّه، وهنا تقول البصائر: "وقفت تركيا وإيران وباكستان نفس الموقف الذي وقفته سوريا ولبنان، ومصر والعراق، واليمن وشرقي الأردن والعربيّة السّعودية، فتكوّنت يومئذ ولأول مرّة في التاريخ الحديث جامعة الأمم الإسلامية حوالي جامعة الأمم العربيّة، وفهم العالم المضطرب المادّي الأناني، أنّ روح الإسلام الطّاهر الشّريف لا تزال تحلّق في علياء الوجود". (أبي محمد، 1947: 4).

لقد أدركت الجريدة أنّه يستحيل إيجاد حل عادل ومنصف للقضية الفلسطينية لأن من يقود هذا الملف أقدام الاستعمار، وهنا تقول الجريدة: "هل ينتظر الإنصاف والعدل من أعضاء أوفدتهم دول لم تعرف الإنصاف والعدل في حكم من أحكامها، وهل ينتظر صدور الحق من أعضاء يمثّلون دولا لم تعرف في حياتها العمليّة إلاّ المكر والخداع والذبذبة والنّفاق، ولم تألف في سياستها إلاّ نقض العهود وقهر الضّعفاء وابتلاع حقوقهم والازدراء بكرامتهم الإنسانيّة". (فرحات الدراحي، 1947: 1).

لقد كان هذا ما تأكّد في عمليّة التّقسيم الجائرة التي أعطت اليهود الأراضي الخصبة ومنابع المياه في حين دفعت بالفلسطينيين إلى المناطق الرّمليّة والجبلية، وهنا تقول البصائر: "فكان

حظّ اليهود منها - بغير انتخاب ولا قرعة الجهات الخصبية - المتّصلة بالعالم، القريبة من الصرخ، الموطّاة الأكناف، المأمونة الأمداد والمرافق، وكان حظ العرب منها الجهات الرّملية القاحلة والجبلية الجرداء، وكان حظ بيت المقدس ميراث النبوة عن النبوة أن يصبح إرثا لأحقاد الصّليبيين". (البشير الإبراهيمي، 1948: 1).

وبالعودة للحديث عن المنظمات الإرهابية التي أنشأها اليهود فإن كلاً من "الهاقانا" و"أرغون" و"شتيرن" كانت تقوم بالمجازر الوحشية، هذا ما جعل بريطانيا تعجّل برحيلها عن فلسطين محدّدة شهر أوت من عام 1948م لسحب قوّاتها، وهنا تقول البصائر: "ذلك أنّ إنكلترا أعلنت إلغاء وصايتها على البلاد المقدّسة، وحدّدت شهر أوت المقبل لسحب جندها من البلاد وصرّحت بأنّها ترفض البقاء بعد ذلك ولو أمداً وجيزاً في حالة ما إذا طلب منها ذلك البقاء". (أبو محمد، 1948: 4). خاصّة وأنّ قرار التّقسيم الذي أقرّته هيئة الأمم المتحدة تحت رقم 181 والقاضي بمنح اليهود 56.5% من أرض فلسطين لقي الرّفص من قبل الفلسطينيين والعرب، وأمام فشل مجلس الأمن في إيجاد صيغة لفرض هذا التّقسيم بما فيها الحل العسكري، وهنا تقول البصائر: "ولنصرة فريق اليهود ضدّ العالم العربي بأسره، والعالم الإسلامي في مجموعته فأحجم المجلس إحجاماً معقولاً، ثمّ قرّر أنّه لا يركن إلى جانب التّنفيذ بقوّة السّلاح الأممي، ثمّ أناط الأمر بعهدة الدّول الكبيرة الخمسة الأساسيّة (أمريكا، إنجلترا، روسيا، الصين، فرنسا) لتتساور فيما بينها وتقرّر الخطّة التي ينبغي اتّخاذها". (أبو محمد، 1948: 4).

في ظل هذه الحيرة التي صاحبها التّصريحات البريطانية بعزمها على ترك أرض فلسطين قبل أن تصل هيئة الأمم المتحدة لطريقة تحافظ بها على الأوضاع بعد خروج البريطانيين، فإنّها كانت تنذر لا محالة بوقوع مذابح دمويّة وحرب كبيرة بين العرب واليهود، وهنا تقول البصائر: "إنّ الحوادث لتجري السّاعة مؤيّدّة نظريّة الذين ارتأوا فساد برنامج الاقتسام، وعلموا أنّ نتيجته القريبة سوف تكون إراقة الدّماء وتخريب العالم، وإيقاظ نيران الحروب والفتن بين المسلمين واليهود". (أبو محمد، 1948: 4).

لقد تحدّثت الجريدة عن الدّعم الغربي لليهود والكيل بمكيالين، حيث تقول: "يقيم اليهود معسكرات التّدريب، ويجهّزون سفن التّهريب، كل ذلك تحت سمع الاستعمار الفرنسي وبصره، فلا يجدون منه إلّا الأمن والعافية، والأعين الخافية، ولو همّ العرب بشيء من ذلك أو بأقلّ القليل منه لقامت قيامة الاستعمار الفرنسي، واستخرج لكل حركة اسماً ممّا اشتمل عليه

قاموس المحرّمات وربط بكلّ اسم منها عقوبة تنصّ عليها القوانين المدخّرة لوقت الحاجة".  
(محمد البشير الإبراهيمي، 1948: 1).

وفي نفس الوقت كان الاستعمار شاهد عيان على مجازر ارتكبتها المنظّمات الإسرائيلية الإرهابية وهنا تقول البصائر: "تكالب اليهود من عصابتي أرقون وهجانا على المسلمين، فوقعت بعض هاتك الحوادث المؤلمة الشنيعة، كمأساة دير ياسين التي لا يجب أن ينساها عربي ومسلم إلى الأبد، وكاحتلال اليهود لمدينتي حيفا وطبريا، وكماجمتهم لمدينة يافا". (أبو محمد، 1948: 4).

وفي الوقت الذي كان يشتدّ فيه الخطر اليهودي بأرض فلسطين وشعبها ظلّت هيئة الأمم المتّحدة في عقد اجتماعاتها لإيجاد الحلول، إلى أن خرجت بريطانيا في 14 ماي 1948م، ويعلن عن قيام دولة إسرائيل في اليوم الموالي أي بتاريخ 15 ماي 1948م، وتبدأ معها فصول الحرب العربية الإسرائيلية، أو ما اصطلح على تسميتها بنكبة 1948م. وهنا تذكر البصائر: "أعلن اليهود في عاصمتهم "تل أبيب" استقلال دولة إسرائيل، ورفعوا علم داوود فوق المباني الحكومية، وشكّلوا لأنفسهم كما كان متوقّعا حكومة وقتية، ريثما تستقرّ الحالة فتنشأ الحكومة الدّستورية، وما كادت تنقضي دقيقتان اثنتان فقط بعد منتصف ليلة 14 ماي، وانتهاء وصاية إنجلترا، حتى أعلن الرّئيس ترومان بمقتضى السّلطة التي يخولها له دستور أمريكا، الاعتراف بحكومة إسرائيل بصفتها سلطة فعلية في بلاد فلسطين". (أبو محمد، 1948: 5).

لقد تطرّقت جريدة البصائر لأطوار الحرب العربية الإسرائيلية بتفاصيلها من حيث تنظيم الجيوش العربية، وما يحصل في ساحات القتال إلى إعلان الهدنة بين الطّرفين وقبولها من العرب واليهود، وهنا تقول البصائر: "أصدر الوسيط أمره بوقف القتال يوم الجمعة 11 جوان على الساعة السادسة صباحا وتلقّى من الدّول العربية ومن الهيئة اليهودية قبولها لذلك الأجل المحدّد". (أبو محمد، 1948: 4). حيث استثمرت هذه الأخيرة - اليهود - فرصة هذه الهدنة لإعادة تقوية صفوفها وإصلاح المراكز المتضرّرة في جبهاتها القتالية، واستلام المساعدات من حلفائها (الو.م.أ) كل هذا كان له الوقع الأكبر في انتصار اليهود على العرب الذين ونتيجة كثرتهم اعتقدوا أنّ الحرب مع اليهود ستكون نزهة وجولة قصيرة يعودون بعدها غانمين، وهنا تقول البصائر: "وجعلوا العامة تعتقد أنّ القضاء على منظمّة اليهود هنالك إنّما هو نزهة عسكرية. تتم بين الهتافات العالية، والخطب الحماسية الجوفاء فبينما كان المغرّزون بنا من رجال الصّحافة ورجال السّياسة يرتكبون هذا الوزر العظيم، كان اليهود يحتلّون مطار ومدينة

الله وينصبون أعلامهم فوق جدران مدينة الرملة، ويحتلون مدينة الناصرة التي كانت مركز القوى المتطوعة المجاهدة". (أبو محمد، 1948: 2).

لقد كان لوقوع هذه الهزائم الأثر الكبير في نفوس العرب والمسلمين، وكخطوة جديدة لمناصرة القضية الفلسطينية دون الوقوف ضد قرارات هيئة الأمم المتحدة اعترف العرب بالحكومة التي شكلتها القيادة الفلسطينية على ما تبقى من أرض فلسطين، وقد طرحت البصائر تصوّرها حول هذا الحدث قائلة: "فأول ما يتبادر إلى الذهن من أمر تشكيل هذه الحكومة هو أن الدولة العربية التي صادقت على تشكيلها قد أرادت أن تتستّر وراءها في مقاومتها للصهيونية، فلا يبدوا في مستقبل الأيام أدنى تدخل علني من الدول العربية المصادقة على هذا المشروع، إذ تكتفي بإرسال المدد والسلاح سرًا، وتسمح بتسرب المتطوعين، وتعلن أنّ أهل فلسطين في نظامهم الدولي الجديد هم الذين يقاومون الصهيونية ويحاربونها وبهذه الطريقة لن تقف الدول العربية موقفًا مصادمًا لقرار هيئة الأمم المتحدة في الميدان العملي، إنّما تكتفي بمقاومته في الميدان السياسي". (أبي محمد، 1948: 4). وفي جانب آخر رأت البصائر أن تشكيل الحكومة الفلسطينية جاء للرد على مطامع ملك الأردن.

لقد كان نقض الهدنة من جانب اليهود فرصة لتحقيق العديد من الانتصارات وكسب المزيد من الأراضي الفلسطينية، وبالرغم من قرار مجلس الأمن بعودة كلا الفريقين إلى مواقعه قبل 14 أكتوبر وتوعدّ المخالفين بعقوبات إلا أنّ الواقع أضحى كما تقول البصائر: "وأخيرا يصدر مجلس الأمن أمره برجوع كل جندي من الجنديين إلى المراكز التي كان يحتلها قبل 14 أكتوبر، وأن يخلي كل ما كسبه من تراب إثر عمليّات الحرب المذكورة، وهنا ارتطم مجلس الأمن بصخرة هائلة، ذلك أنّ اليهود هم الذين تقدّموا في سائر الميادين وكسبوا ربحا في كل واجهة، واستصفوا بقوة السلاح ثلاثة أرباع فلسطين، فكيف بهم يا ترى يتركون كل ذلك ويرجعون سلما ما كسبه سلاحهم القوي". (أبي محمد، 1948: 3).

بالرغم من الاجتماعات العربية داخل الجامعة العربية، فإنّ ذلك لم يسفر عن شيء سوى المزيد من الاستعداد لخوض غمار الحرب مجدداً كما أنّ كل شيء كان يعود فيه العرب لهيأة الأمم المتحدة، تلك الهيأة المناصرة أساسا لليهود، سواء في قرار التقسيم 181، فلقد كان اليهود يشكّلون العقل الغربي (الأنا) في مواجهة العقل العربي (الآخر) وهنا يستحيل أن نلمس العدالة في مجلس الأمن، لأنه يتكوّن من العقل الغربي وحده، ثمّ إنّ الذين وافقوا على القرار 181 وهم أمريكا، إنجلترا والاتحاد السوفياتي (العقل الغربي) نلاحظ تضامنه مع إيطاليا في ليبيا عقب 1945م أي عقب الحرب العالمية الثانية.

لقد فشلت الجهود العربية اللاحقة في تحقيق أي نصر في القضية الفلسطينية سواء من الجانب المصري أو العراقي وبقي الوضع على ما هو عليه من سيطرة لليهود على الأراضي التي حصلوا عليها أي ثلاثة أرباع فلسطين، وهنا تقول البصائر: "خضعت الحكومة المصرية لحكم الظّروف، ورضخت أمام الأمر الواقع، فكانت النتيجة المنطقية المعقولة الوحيدة لتخاذل العرب، وتشتت أفكارهم وتضارب مصالحهم وتفكك قواهم، أن أصدرت حكومة مصر إذنها لمندوبها في جزيرة رودس بإمضاء الاتفاقية التي أسموها اتفاقية الهدنة الدائمة، وإن هي في الحقيقة إلاّ اتفاقية الانسحاب النهائي". (أبي محمد، 1949: 4).

وفي المقابل عمل اليهود على عقد هدنة مع اللبنانيين والسوريين والأردنيين بحيث دخلوا في الهدنة الدائمة مع الصّهيينة، وفي الجانب الآخر استمر الدّعم الأمريكي لليهود من أجل توطيتهم بشكل أكبر في فلسطين.

#### الخاتمة:

لقد مثلت جريدة البصائر شاهد عيان حول العديد من القضايا التحريرية وتطوّراتها ما بين 1947م-1956م، لتكشف لنا أن الفكر الاستعماري واحد رغم تعدّد أشكاله ومسمّياته، وهو ما حاولت جريدة البصائر كشفه عبر مقالاتها ومن خلال منبرها منبر السياسة العالمية على وجه الخصوص ما يدفعنا في نهاية موضوعنا هذا للتأكيد على أنّ جريدة البصائر جاءت لربط الإنسان الجزائري بالعالم، وتعريفه بالقضايا التحريرية التي تناضل الشعوب المستعمرة من أجلها وفي سبيلها، وكيف أنّ طريق الحرية والكرامة يقتضي التّضحية، وهو ما يجعل الشعب الجزائري يقف جنباً إلى جنب مع تلك الشعوب في مسيرتها النضالية.

لقد حاولت جريدة البصائر تشریح الذات الاستعمارية لأقصى درجة، لكي تنطبع لدى كل قارئ ومتابع للأحداث حقيقة مقولة أحد مناضلي الحركة الوطنية: "كذب الاستعمار ولو صدق" ولعلّ هذه المقولة نستشعرها لأقصى حد في ما حصل في بلاد الهند الصينية من نقض للمعاهدات والمواثيق من طرف الاستعمار الفرنسي الذي حظي بالدعم الأمريكي الكامل، إلاّ أنّ الإرادة الوطنيّة الحرّة هي التي كتب لها التّصر في الأخير.

لقد شكّلت القضية الفلسطينية محور اهتمام جريدة البصائر بالموازاة مع القضايا التحريرية الأخرى وهو ما كان ملاحظاً في أعدادها التي لا يكاد يخلوا أحدها من الحديث عن

هذه القضية، ولعل ذلك يعود بالأساس لإدراك الجريدة أن القضية الفلسطينية من الصعب أن تصل إلى حل بوجود الاستعمار البريطاني والصهيونية الشّرها على حد تعبير ابن باديس، ولذلك قبيل إعلان قيام دولة إسرائيل ظلّت الجريدة تنبّه إلى الخطر الصهيوني، وتحت العرب على التّحرك قبل فوات الأوان. خاصّة أن الصهاينة أضحوا الأبناء المدلّين للولايات المتحدة الأمريكية.

يمكن أن نقول في الأخير أن صحافة الجمعية عالجت قضايا التحرر بنوع من الاحترافية في عرض الأحداث والتعليق عليها وإبداء مواقفها إزاءها، مانحة قراءها فرصة هامّة لإدراك النوايا الاستعمارية وحقيقتها، حيث أن ما وصلت إليه جريدة البصائر من إدانة للفكر الاستعماري شكلا ومضمونا هو نفسه ما اعترف به العالم الاقتصادي "أتكينسون هوبسون" في تفسيره لحقيقة الظاهرة الاستعمارية.

لقد شكّلت جريدة البصائر همزة وصل بين القضايا التحررية العادلة في أنحاء العالم، ليدرك كلّ مضطهد ومستعبد أنّ فعل المقاومة المسلّحة هو رد فعل طبيعي وطريق ينبغي على كل الشعوب المستعمرة أن تأخذ به لتنال استقلالها. حتى لو استدعى ذلك التضحية بالنفس، وهنا يقول تشي جيفارا: "لن يكون لدينا ما نحيا من أجله إن لم تكن على استعداد لأن نموت من أجله، إن الطريق مظلم، فإذا لم تحترق أنت وأنا فمن سينير الطريق".

#### المصادر والمراجع:

- أبو محمد، (23فيفري1948م-12ربيع الثاني1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد24، الجزائر.
- أبو محمد، (15مارس1948م-4جمادى الأولى1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد27، الجزائر.
- أبو محمد، (10ماي1948م-1رجب1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد35، الجزائر.
- أبو محمد، (14جوان1948م-6شعبان1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد39، الجزائر.
- أبو محمد، (31ماي1948م-22رجب1367هـ)، منبر السياسية العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد37، الجزائر.
- أبي محمد، (15ماي1954م-12رمضان1373هـ)، منبر السياسة العالمية (الفوز الأعظم)، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد271، الجزائر.
- أبي محمد، (4أفريل1949م-6جمادى الثانية1368هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد74، الجزائر.
- أبي محمد، (30جانفي1950م-10ربيع الثاني1369هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد105، الجزائر.

- أي محمد، (20 فيفري 1950م-3 جمادى الأولى 1369هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 108، الجزائر.
- أي محمد، (1 ماي 1950م-4 رجب 1369هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 118، الجزائر.
- أي محمد، (8 جانفي 1951م-29 ربيع الأول 1370هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 136، الجزائر.
- أي محمد، (16 أبريل 1954م-13 شعبان 1373هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 267، الجزائر.
- أي محمد، (18 جوان 1954م-17 شوال 1373هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 275، الجزائر.
- أي محمد، (30 جويلية 1954م-30 ذو القعدة 1373هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 281، الجزائر.
- أي محمد، (12 سبتمبر 1947م-27 شوال 1366هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 6، الجزائر.
- أي محمد، (22 أكتوبر 1947م-12 ذي الحجة 1366هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 12، الجزائر.
- أي محمد، (22 ديسمبر 1947م-8 صفر 1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 16، الجزائر.
- أي محمد، (2 أوت 1948م-27 رمضان 1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 45، الجزائر.
- أي محمد، (11 أكتوبر 1948م-3 ذي الحجة 1367هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 52، الجزائر.
- أي محمد، (15 نوفمبر 1948م-13 محرم 1368هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 56، الجزائر.
- أي محمد، (7 مارس 1949م-5 جمادى الأولى 1368هـ)، منبر السياسة العالمية، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 70، الجزائر.
- أحمد توفيق المدني، (14 جوان 1948م-6 شعبان 1367هـ)، حول الوحدة المتصدّعة (الأعيب الصّبيان)، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 39، الجزائر.
- أحمد طربين، (1406هـ-1986م)، تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، سوريا، بدون طبعة، دمشق.
- إسماعيل أحمد ياغي، (1995م)، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج1، دار المريح، الرياض، السعودية.
- البشير الإبراهيمي، (5 سبتمبر 1947م-20 شوال 1366هـ)، فلسطين، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 5، الجزائر.
- علي فياض، (1990م)، التجربة العسكرية الفيتنامية، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر.
- فرحات الدّراجي، (29 ديسمبر 1947م-15 صفر 1367هـ)، أيها العرب أنقذوا بلادكم، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 17، الجزائر.
- محمد البشير الإبراهيمي، (5 أبريل 1948م-25 جمادى الأولى 1367هـ)، أما عرب الشّمال الإفريقي...، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 30، الجزائر.
- محمد البشير الإبراهيمي، (2 فيفري 1948م-21 ربيع الأول 1367هـ)، ونعود إلى فلسطين، جريدة البصائر، جريدة أسبوعية، عدد 21، الجزائر.